**تمهيد:** إن التعلم أمر معروف في حياتنا العادية فكل منا يتعلم ويكتسب خلال تعلمه الكثير من أساليب السلوك التي يتكيف بها مع بيئته ومع ذلك ليس من السهل إيجاد تعريف شامل ومتفق عليه للتعلم والسبب في ذلك أننا لا نستطيع ملاحظة عملية التعلم ذاتها بشكل مباشر ولكننا نستدل على حدوث التعلم بالتغيير الذي يطرأ على سلوك المتعلم لاحقا.

لذلك فنحن ننظر إلى التعلم على أنه عملية افتراضية فقط نستدل عليه من خلال ملاحظة السلوك ذاته.

**أولا: تعريف التعلم**

يعرف **جيتس** بأنه "التعلم هو التغير في السلوك له صفة الاستمرار وصفة بذل الجهد المتكرر حتى يصل الفرد إلى استجابة ترضي دوافعه وتحقق غايته".

ويرى **جيتس:**"أن الفرد يتعلم إذا كان لديه الدوافع أو الحاجة توجيه سلوكه نحو تحقيق هدف معين لإرضاء هذا الدافع أو إشباع حاجة معينة".

ويعرف **جليفورد** بأن "التعلم هو التغير في السلوك يحدث نتيجة استشارة هذا التعريف الشامل لا يعطي حدودا لعملية التعلم فطبيعة الاستشارة من مشيرات بسيطة إلى مواقف أخرى معقدة جدا".

ويعرف **روبيتز**: التعلم أنه "التغيير الدائم في السلوك والذي يحدث نتيجة الخبرة والممارسة.

من هذا التعريف نستنتج ما يلي:

- أن التعلم يتضمن التغيير في سلوك الفرد.
- أن التغيير المقصود هو التغيير الدائم وليس الوقتي.
- يؤثر التغيير في السلوك الحالي والمستقبلي كما يؤثر على ميول وتصرفات الأفراد.
- تعد الخبرة عنصر ضروري في عملية التعلم والتي يمكن اكتسابها مباشرة من الممارسة أو الملاحظة أو بشكل غير مباشر من القراءة.

**ثانيا: أنواع التعلم أو الهدف منه**

1- **التعلم الحركي**: يكتسب مهارات حركية مثل: السياحة والكتابة والرسم.

2- **التعلم المعرفي**: يهدف إلى اكتساب المعارف والمعلومات.

3- **التعلم اللفظي**: يهدف إلى تعلم المهارات اللغوية.

4- **التعلم العقلي**: يهدف إلى حل المشكلات بواسطة الأسلوب العلمي.

5- **التعلم الاجتماعي**: يهدف إلى اكتساب العادات الاجتماعية مثل: الصدق والأمانة.

**6- التعلم الوجداني:** يهدف إلى اكتساب اتجاهات وميول الحب والكراهية.

**ثالثا: نظريات التعلم**

**1- نظرية التعلم الشرطي التقليدي:** تنسب إلى العالم الروسي **بافلوف** الذي جرى تجربة على كلب من خلال ربط تقديم الأكل بدق الجرس ورؤية إناء الأكل.

التعلم الشرطي التقليدي يتم فيه الربط بين المثير الشرطي الطبيعي والمثير الشرطي غير طبيعي (دق الجرس) في التجربة التي قام بها بافلوف أجرى عملية جراحية بسيطة لكلب فتح بواسطتها ثقبا في خده وأدخل فيه أنبوب زجاجي تصل ما بين فتحات الغدة اللعابية بعد انتهاء هذه العملية قام بافلوف بتقديم مثير صناعي (صوت الجرس) فلم تحدث أي استجابة (لم يفرز أي اللعاب) بعد ثوان قليلة سماع الجرس قد بافلوف للكلب الطعام وسجل جهاز جمع اللعاب الكمية المسالة بعد عدد من المزاوجات بين المثير الصناعي والطبيعي وجد بافلوف أن المثير الشرطي أصبح وحده يستثير سيلان اللعاب في غياب المثير الطبيعي وبعد ذلك أعاد بافلوف هذه التجربة فلاحظ تكرار حدوثه.

فسر بافلوف هذه الظاهرة بأن الكلب تعلم وتوقع تقديم الطعام وأن الجرس قد اكتسب القدرة على إسالة اللعاب وقد أطلق على هذا الاكتشاف الجديد الفعل المنعكس الشرطي.

يرى بافلوف أن الإشراط هو المبدأ الأساسي في تعلم الحيوان ومن ثم هو المبدأ الأساسي لتعلم الإنسان أيضا.

**2- نظرية التعلم الشرطي الفعال:** (العالم الأمريكي **سكينر**) أدخل سكينر متغير إرادة الفرد وتصوراته الفكرية كوسيط بين المثير والاستجابة.

عندما يتعرض الفرد لمثير يفكر ويحلل ويختار الاستجابة المحققة للنتائج الجيدة، فيتمثل قانون الأثر في هذه النظرية أن الفرد يتجه لتكرار السلوكات ذات النتائج النافعة ويقلل من تكرار سلوكات ذات النتائج الضارة (طبقت التجارب على حمامة).

**نتائج تجارب سكينر:**

- عملية الاشتراط الإجرائي للتجربة هي التغير في التكرار.
- المثير " يميل الكائن الحي في المستقبل إلى أن يكرر نفس العمل الذي قام به وقت التعزيز أو التدعيم".
- عملية الاشتراط الإجرائي يهتم بما يتبع الاستجابة مباشرة وليس ما يسبقها.
- يقسم سكينر التعزيز والتدعيم إلى نوعين تبعا لأثر كل منهما:
  - **التدعيم الايجابي:** يقوي الاستجابة مثل: الطعام.
  - **التدعيم السلبي:** مثل الصوت العالي والصدمة الكهربائية.

**3- نظرية المحاولة والخطأ:** تعود إلى العالم النفسي الأمريكي **ثورنديك** وتجربة القط الجائع داخل الصندوق. وضع ثورنديك قطا جائعا داخل الصندوق والطعام في الخارج لاحظ أن القط قام بالعديد من المحاولات لفتح الصندوق ومع تكرار التجربة لاحظ

أن هناك تناقض للمحاولات الفاشلة للقط حتى أصبح باستطاعة القط فتح الصندوق بمجرد وضعه فيه، ترى النظرية أن الكائن الحي يكتسب المهارات ويتعلمها عن طريق المحاولة والخطأ إذ يميل إلى تثبيت المحاولات الناجحة ويتجنب المحاولات الفاشلة في المرات القادمة.

**تفسير التعلم عند ثورنديك:** يرى أن التعلم عند الإنسان هو التعلم بالمحاولة والخطأ وعندما يواجه المتعلم موقف ويريد أن يصل فيه إلى هدف فيحاول الشخص أن يختار استجابة معينة من بين عدة استجابات مختلفة ممكنة أو محتملة لتحقيق هدف.

**4- نظرية التعلم بالاستبصار:** تجربة **كوهلر** مع القرد الذي استطاع أن يصل إلى الموز المعلقة من خلال وضع العديد من الصناديق مختلفة الحجم فوق بعضها البعض فقد أدرك القرد العلاقة بين ارتفاع الموز وإمكانية استخدام الصناديق المتناثرة في المكان.

وفق هذه النظرية عملية التعلم لا يمكن أن تبنى دائما على الارتباط الشرطي أو المحاولة والخطأ بل أن الكثير من محاولات التعلم تدل على الاستبصار واستغلال المفاهيم والمعاني أكثر من كونها محاولات عشوائية قد يكون التعلم بالاستبصار بطيء أو سريع كما قد يكون جزئي أو كلي.

**تفسير عملية التعلم في ضوء تجارب كوهلر:**

- سلوك الفرد نتج أو صدر عن حالة التوتر النفسي التي وجد فيها أثناء التجربة.
- هدف سلوك القرد إلى الحصول على قطعة الموز وهي الشيء الوحيد الذي يزيل التوتر.
- يوجد عائق يحول دون الوصول إلى الهدف وإزالة حالة التوتر.
- بعد عدد من المحاولات الفاشلة استطاع القرد أن يدرك المجال الذي يحيط به وكون علاقات ارتباطية لم يسبق أن وجدت في خبراته السابقة كاستعمال الصناديق كسلم للصعود.

**أسس التعلم عن طريق الاستبصار:**

- تتوقف القدرة على الاستبصار على طاقة الكائن الحي فيما يتعلق بالنوع الذي ينتمي إليه، العمر الزمني والفروق الفردية.
- يتوقف الاستبصار عن الخبرات السابقة.
- توجد علاقات ايجابية بين القدرة على الاستبصار ومستوى الذكاء الذي يتمتع به الكائن الحي.

**5- نظرية التعلم الاجتماعي:** يقصد بالتعلم الاجتماعي اكتساب الفرد أو تعلمه لاستجابات أو أنماط سلوكية جديدة من خلال موقف أو إطار اجتماعي.

**افتراضات النظرية:**

- تنطلق هذه النظرية من افتراض رئيسي هو أن الإنسان كائن اجتماعي يعيش مع مجموعات من الأفراد يتفاعل معهم ويؤثر ويتأثر بهم، فهو يلاحظ سلوكيات وعادات واتجاهات الأفراد الآخرين ويتعلمها بالملاحظة والتقليد، حيث يعتبر الفرد هؤلاء الآخرين بمثابة نماذج يتم الاقتداء بسلوكهم.

- ترى النظرية أن هناك عمليات معرفية تتوسط بين الملاحظة للأنماط السلوكية التي تؤديها النماذج وتنفيذها من قبل الشخص الملاحظ.
- يتضمن التعلم بالملاحظة جانب انتقائي فليس بالضرورة أن عمليات التعرض إلى الأنماط السلوكية التي تعرضها النماذج يعني تقليدها بالضبط، فقد يعمل الفرد على إعادة صياغة لها أو ينفذ بعض منها دون الكل.

**آليات التعلم الاجتماعي:** يرى **باندورا** أن التعلم بالملاحظة يتكون من ثلاثة آليات:

- **العمليات الابدالية:** وفق هذه الآلية لا يفترض أن يتعرض الفرد إلى خبرات متعددة كي يتعلمها ولكن يمكن له ملاحظة النماذج المختلفة وهي تمارس هذه الخبرات. مثل: لدغة العقرب أو الأفعى.
- **العمليات المعرفية:** يرى أن عمليات التعلم للأنماط السلوكية من خلال الملاحظة لا تتم على نحو آلي، فهي تتم على نحو انتقائي وتتأثر بالعديد من العمليات المعرفية لدى الفرد الملاحظ. مثل: الاستدلال، التوقع، الإدراك.
- **عمليات التنظيم الذاتي:** يشير هذا المبدأ إلى قدرة الإنسان على تنظيم الأنماط السلوكية في ضوء النتائج المتوقعة منه.

**التجربة التي قام بها باندورا:** قام باندورا في إحدى دراسته النموذجية بتوزيع أطفال إحدى المدارس على (05) مجموعات تعرضت لملاحظة نماذج عدوانية مختلفة.

- شاهدت المجموعة الأولى نموذجا إنسانيا حيا، وهو يقوم باستجابات عدوانية جسدية ولفظية نحو لعبة بلاستيكية بحجم الإنسان الطبيعي.
- تعرضت المجموعة الثانية لمشاهدة الحوادث ذاتها ولكن من خلال فيلم سينمائي.
- أما المجموعة الثالثة فقد تعرضت لمشاهدة الحوادث من خلال فيلم كرتوني.
- استخدمت المجموعة الرابعة كمجموعة ضابطة إذ لم تتعرض لمشاهدة أي من هذه الحوادث العدوانية.
- في حين تعرضت المجموعة الخامسة لمشاهدة نموذج إنساني ذي مزاج مسالم وغير عدواني.

بعد إجراء المعالجة وعرض النماذج المختلفة على أفراد المجموعات جميعها، تم وضع كل طفل من أطفال هذه المجموعات في وضع مشابه للوضع الذي لاحظ فيه سلوك النموذج. قام عدد من الملاحظين بملاحظة سلوك الأفراد عبر زجاج نافذة وتسجيل الاستجابات العدوانية الجسدية واللفظية التي أداها أطفال المجموعات المختلفة وتم استخراج متوسط استجابات كل مجموعة على حدى فبلغ متوسط الاستجابات العدوانية.

- المجموعة الأولى: 183 استجابة.
- المجموعة الثانية: 92 استجابة.
- المجموعة الثالثة: 198 استجابة.
- المجموعة الرابعة: 52 استجابة.

- المجموعة الخامسة: 42 استجابة.

تبين نتائج هذه الدراسة أن متوسط الاستجابات العدوانية للمجموعات الثلاث الأولى التي تعرضت للنماذج العدوانية، يفوق كثيرا متوسط استجابات المجموعة الرابعة (الضابطة) التي لم تتعرض لمشاهدة النموذج وأن متوسط استجابات المجموعة الخامسة، التي تعرضت لنموذج مسالم وغير عدواني، أقل من متوسط استجابات المجموعة الرابعة.

**الخلاصة:**

- أن الفرد يمكنه التعلم من خلال ملاحظة سلوك الآخرين وتقليدهم ضمن إطار اجتماعي معين.
- أن وجود النماذج في حياة الفرد من الوالدين والأصدقاء والمدرسين تجعله يقتبس منهم بعض الأنماط السلوكية وفق خطوتين هما:
  - ✓ الخطوة الأولى: ملاحظة سلوك الآخرين واكتساب صورة ذهنية للتصرف ونتائجه (ثواب، عقاب).
  - ✓ الخطوة الثانية: يجرب الفرد الصورة الذهنية فإذا كانت النتائج ايجابية يكرر السلوك، وإذا كانت النتائج سلبية يتوقف الفرد عن تكرار السلوك.

**رابعا: المبادئ الأساسية للتعلم**

**1- التعلم له دافع:** من غير المحتمل أن يتعلم الإنسان شيئا ليس له دوافع نظرية أو مكتسبة لتعلمه.

**2- المكافأة المادية والمعنوية:** تعزز وتدعم وتشجع عملية التعلم.

**3- التعلم الموزع بين الفترات:** أفضل وأسرع من التعلم المركز في فترة واحدة.

**4- ضرورة المشاركة الايجابية من التعلم:** في عملية التعلم لأنها تنشط الدافع للتعلم وتزيد من حماس المتعلم.

**5-** ضرورة تنويع مواد ومجالات المتعلم (للقضاء على الملل).

**6- أهمية الفهم أثناء عملية المتعلم:** أي الفهم للهدف والعلم بالنتائج المراد الوصول إليها.

**7-** التكرار أداة هامة في التعلم.